الباب الثامن

كيف نحافظ على الهوية الإسلامية؟

دين الإسلام يُعْنى بتأكيد الهوية الخاصة ويرفض أطروحات الغرب العقدية والتشريعية، ويأمر بمخالفتها، فالله تعالى يقول (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) وقد روى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ص قدم المدينة وأهل المدينة لهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان قالوا: كنَّا نلعب فيهما بالجاهليَّة، فقال ص إنَّ الله أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر قال شيخ الإسلام ابن تيمية :إنَّ الأعياد من جملة الشرع والمنهاج والمناسك التي قال الله تعالى: لكل

أمَّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه كالقبلة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم العيد وبين مشاركتهم سائر المنهاج، فالموافقة في العيد موافقة في الكفر لأنَّ الأعياد هي أخص ما تتميَّز به الشرائع قال الحافظ الذهبي رحمه الله:فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعهم ولا قبلتهم وجاء عن الشريد بن سويد قال: مرَّ بي رسول الله ص وأنا جالس هكذا وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتَّكأت على إلية يدي فقال عليه الصلاة والسلام: أتقعد قعدة المغضوب عليهم أخرجه أبو داود، والمقصود بالمغضوب عليهم: اليهود، ويعلِّق الإمام ابن تيمية على هذا الحديث فيقول:وهذا مبالغة في تجنب هديهم.

إنَّ محافظة الأمة المسلمة على هويتها الإسلامية، والاعتزاز بهذا الدين العظيم ، يولِّد لديها الشعور بأنَّها الأمَّة التي اصطفاها الله من بين العالمين لخيريتها وسمو تشريعاتها،ولكنَّا للأسف نرى أناساً من المثقفين العرب وغيرهم ،يكفرون بهويتهم وينقلبون على واقعهم الإسلامي بالهمز واللمز ،بل ويذوبون في المشروعات الغربيَّة المناهضة للمشروع الإسلامي، والتغريب هي القنطرة التي عبرت عليها العلمانية إلى الشرق ،وهذا التغريب لم يكن لحظة انبهار؛ لأن الانبهار يزول سريعاً فتبدو الأشياء على حقيقتها ، وإنما كان لحظة عمى وعمهٍ حضاري، كان

لحظة تعاقد تآمري أو على حد تعبير د محمد عمارة :عمالة فكرية وحضارية وأول أمر في الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة؛ تعميق الإيمان بالله تعالى فله أثراً كبيراً في تحصين القلب ضدَّ الأفكار الهدَّامة، وقد أدرك ذلك الشيخ محمد قطب فقال:وأول ما نبدأ به من هذا الجهد، هو تصحيح منهج التلقي من أين نتلقى فهمنا لهذا الدين؟ من كتاب الله وسنة رسوله ص وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم؟ أم مما دخل على هذا الفهم الواضح المستقيم من أفكار دخيلة ومنحرفة، بتأثير عوامل متعددة أثناء المسيرة الطويلة للأمة الإسلامية،واحتكاكها الدائم بأخلاط من المذاهب،وأخلاط من الأفكار؟فإذا صححنا منهج التلقي، وصححنا ما انحرف في حس المسلمين المتأخرين من مفاهيم الإسلام الرئيسية، بقيت علينا مهمة أخرى لا تقل خطراً،هي مهمة التربية على المفاهيم الصحيحة لهذا الدين والتربية هي الجهد الحقيقي الذي ترجى معه الثمرة، لكنه لن يؤت ثمرته حتى يقوم على أساسه الصحيح .

وإليكم قصَّة تدلل على مدى ضرورة المحافظة على الهوية لكل أمَّة تريد أن تصنع لنفسها كينونة وخصوصية تتسم بها ، فنحن نعلم جميعاً ما وصلته اليابان من قوة تقنية وصناعية لا ينكرها منكر، ونتذكر جيداً أنَّ اليابانيين حين ضربتهم أمريكا بالقنبلة النووية ودمَّرت ناجازاكي وهيروشيما ،رأوا أنَّ من أسباب ضعفهم عدم قدرتهم على مواجهة

الأمريكان ، وقلّة المعلومات التقنيَّة التي لديهم ؛ فأرادوا تحقيق المناعة واستقطاب المعلومات التي يجهلونها فأرسلوا بعثات للتعلم في بلاد الغرب والنهل من علومهم الطبيعية ، حتى يرجعوا إلى اليابان وينقلوا إلى أرضها تلك التجارب الغربية الطبيعية فتنهض دولتهم ، وحين بعثت أول بعثة يابانية إلى دول الغرب رجعوا إلى بلادهم متحللين من مبادئهم ، ذائبين في الشخصية الغربية ، فما كان من اليابانيين إلاَّ أن أحرقوهم جميعاً على مرأى من الناس في طوكيو ، ليروا عاقبة من تنكر لأمته وقيمه ، ولم يرعَ المسؤولية التي أنيطت به ، وبعد ذلك أرسل اليابانيون بعثة أخرى ، وأرسلوا معها مراقباً يراقبهم أولاً بأول ، من ناحية ثباتهم على عقيدتهم وخصوصياتهم البوذية ،ومراقبة انهماكهم في استقطاب وجذب المعلومات التي يجهلونها لينقلوها إلي واقع بلادهم، وتمضي الأيام وتكون اليابان من أكبر الدول التقنية في العالم أجمع، بل والمنافسة والمسابقة لأمريكا وأوروبا في كثير من التخصصات التقنية أليس في هذه القصة درس وعبرة بما يفعله الآخرون من غير المسلمين في الحفاظ على هويتهم، ومع ذلك وصلوا ونجحوا لمحافظتهم على الخصوصية والهوية الخاصَّة بهم، فأولى بنا وبالأمة المشهود لها بالخيرية والوسطية أن يكون أبناؤها خير أناس يحافظون على هوية الأمة الإسلامية ، ويرعون هويتهم حقَّ رعايتها ؟ وهناك نقطة ذات

أولويَّة تسهم في المحافظة على الهويَّة والخصوصيَّة الإسلامية مما يسمى:عولمة الثقافة وإشعار هذه الأمة بخطورة هذه الفكرة،وأنَّ فحواها ومحتواها طمس الخصوصيات الإسلاميَّة ،وإشغال الأمَّة المسلمة بما لدى الأمم الغربيَّة والأمريكيَّة على وجه الخصوص من ثقافات جديدة ، وإغراقهم في المستنقع الثقافي لما يسمَّى بالقرية الكونية وإذا كانت وزيرة الثقافة الدنماركيَّة اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكيَّة ، وقالت:لم يعد يحتمل هذا الغزو وإذا كان الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذِّراً من تفشِّي ظاهرة لبس الجينز بين الشباب الفرنسي لأنَّه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي فإنَّا بوصفنا مسلمين يلزمنا،أن نحذر من ذلك ونكون أشدّ إصراراً على المحافظة على هويتنا وخصوصياتنا وقيمنا ، وعدم التشبه والاقتداء بأعداء الإسلام ، كيف ورسولنا ص حذَّرنا من ذلك وقال : من تشبَّه بقوم فهو منهم ومن أبرز أساليب الحفاظ على الهوية الإسلامية عدة نقاط :

1- التعلُّق باللَّه - عزَّ وجل - والاستعانة والاستعاذة به ، وسؤاله الهداية والثبات والممات على دين الإسلام من غير تبديل ولا تغيير.

2- الثِّقة بمنهج الله ووعده وحكمه وأوامره ، واليقين به ومراقبته ، والشعور بالمسؤوليَّة عن حفظ الدين من شبهات المغرضين ، وعدم خلطه بالباطل.

3- تلقّي العلم عن العلماء الربَّانيين،وإرجاع المسائل المشكلة إليهم ليحلُّوها ويوضِّحوا ما أبهم على صاحبها، فلا يستعجل في قبول فكرةٍ أطلقها من لا يؤمن فكره،ولا يبقي تلك الشُّبهة في صدره حتَّى تعظم ، بل ينبغي عليه أن يضبط نفسه بالرجوع للراسخين من أهل العلم ؛ فإن الله - تعالى - يقول:فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون.

4- البناء الذاتي بمعرفة مصادر التَّلقي ، ومناهج الاستدلال الصحيحة ، وملء القلب بنور الوحي من الكتاب والسنَّة، مع ملازمة إجماع أهل السنَّة والجماعة.

5- التعلَّق بكتاب الله قراءة وفقهاً وتدبُّراً وعملاً ، ولو أقبل الخلق على كتاب الله والانتهاج بنهجه ، لأجارهم سبحانه من الفتن ، فالقرآن شفاء لما في الصدور ، ومن يعرض عنه فسيصيبه من العذاب بقدر ابتعاده عنه وألَو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربِّه يسلكه عذاباً صعدا.

6- تكثيف البرامج التوجيهيَّة،وأخصُّ بالذكر وسائل الإعلام بشتَّى أصنافها، ومحاولة زرع الثقة في قلوب المسلمين بالاعتزاز بدينهم وعقيدتهم.

7- إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات المعنيَّة برصد الانحرافات الفكريَّة ، والتعقيب عليها بتفنيد الشُّبه ، والجواب عن الشكوك والإثارات التي تخرج من بعض المارقين من قيم الإسلام ومبادئه ، والجهاد الفكري ضدَّها، من منطلق قوله تعالى:وجاهدهم به جهاداً كبيرا.

8- تربية النشء بما يرضي الله ، والتحاور معهم بتبيين فساد شبهات أهل الزيغ والهوى ، مع قوَّة الإقناع، وأدب الحوار ، فالتنشئة الصحيحة على التحصين العقدي هي أول عمليَّة في التربية.

<u>شروط الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلاميتين:</u>

ينبغي أن ننظر إلى الواقع الثقافي والفكري والإعلامي في عالمنا من زاوية واسعة ،حتي تتضح لنا الصورة العامة ، وتتبين حقائق الأمور أمام أعيننا ، فنحن نقف اليوم أمام تيار كاسح لا نملك إزاءه إلاُّ التعامل معه بحكمة ويقظة، لأننا لانمتلك شروط المواجهة معه ، لكن لدينا شروط موضوعية لمواكبته ، والاندماج فيه ، والاسهام من موقعنا الثقافي والحضاري،في بناء عالم جديد قوامه العدل والسلام ، والتعايش والتسامح ، والتعاون الإنساني في إطار القانون الدولي ، وتحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الأسلوب العملي لتلافي مخاطر العولمة ، وللتغلب على الصعاب والتحدّيات الناتجة عنها ،وللحفاظ على خصوصياتنا

الثقافية والحضارية والمنهج الذي ندعو إلى اعتماده في معالجة المشكلات الناتجة عن اكتساح نظام العولمة للهوية والثقافة الإسلاميتين في هذه المرحلة الدقيقة ،يقوم على قاعدة التكامل في البحث عن حلول للأزمات الحضارية والمشكلات الثقافية ، وينطلق من رؤية شاملة إلى الواقع المعيش، بحيث لايمكن بأي حال،الفصل بين الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية ، وبين الأوضاع الثقافية والفكرية والإعلامية ، لأنه لاسبيل إلى تقوية الذات بتحصين الهوية والثقافة العربية والحفاظ عليهما ، في ظل أوضاع غير منسجمة مع طموح الأمة، وفي ظروف ليست مواتية، من كافة النواحي .

ان العالم الإسلامي محكوم بظروف صعبة ، وينبغي أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، نسلم بأن الدولة السبع والخمسين الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، تعاني من مشكلات اقتصادية صعبة ، وبعضها، بل أغلبها، يحتلّ المرتبة الدنيا في السجل الذي تنشره الأمم المتحدة في تقريرها السنوي عن التنمية البشرية في العالم، وتصنف غالبية هذه الدول ضمن الدول ضمن الدول التي تعيش تحت خط الفقر ، إلى جانب المشكلات السياسية التي تعم معظم االبلدان الإسلامية، التي تنتج عن الأزمات والصراعات والحروب، مما يتسبب في عدم الاستقرار، وفي ضياع فرص التنمية، وهدر الطاقات والقدرات ولا مجال للحديث عن

الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلاميتين في ظلّ هذه الأوضاع ،فالمجتمعات الضعيفة المتخلفة عن ركب التقدم الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي، لا تقوى على الدفاع عن خصوصياتها الثقافية وميراثها الحضاري، ولا تملك أن تصدّ الغارات الثقافية والإعلامية التي تواجهها من كل حدب وصوب، ولن تستطيع أن تقف صامدةً في معترك السياسة الدولية بأمواجها المتلاطمة، حفاظاً على مصالحها الحيوية لذلك نرى أن السبل التي يتعيّن على العالم الإسلامي أن يسلكها للحفاظ على هويته وثقافته الإسلاميتين،هي ما يلي :

أولاً : إصلاح الأوضاع العامة إصلاحاً رشيداً شاملاً، في إطار المنهج الإسلامي القويم ، والأسلوب الحكيم، ومن خلال الرؤية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعدّدة، من أجل اكتساب مناعة ضد الضعف العام الذي يحدّ من حيوية الأمة ويشلّ حركتها .

ثانياً : إيلاء أقصى الاهتمام بتطوير التعليم ، والنهوض به، وتحديث مناهجه وبرامجه،مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد والمجتمع ويربي الأجيال على ثقافة العصر ويفتح أمامها آفاق المعرفة.

ثالثاً : تقوية التعاون بين الدول العالم الإسلامي، وتعميق التضامن الإسلامي، وتحقيق التكامل فيما بينها، وتعزيز العمل الإسلامي المشترك،

في إطار تنفيذ الاستراتيجيات التي وضعتها المنتظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وصادق عليها مؤتمر القمة الإسلامي في دوراته المتعاقبة .

رابعاً : تسوية الخلافات بين دول العالم الاسلامي ، والاحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفضّ النزاعات، وإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقاً للمصالح المشتركة، وجلباً للمنافع ودراءاً للأخطار التي تهّدد الأمم الإسلامية قاطبة .

فبانتهاج هذه السبل المستقيمة ، تتقوى الذات الثقافية، وتصان الهوية الحضارية، وتحفظ الحقوق، ويتعزَّر حضور الأمة الإسلامية في الساحة الدولية مؤثرةً ومساهمة في الحضارة الإنسانية الجديدة .

3 ـــ آليات تعزيز الهوية

أ ـــ من الناحية الدينية

إذاً أمام هذا الواقع تتجلى أهمية العناصر التي تم التأكيد عليها كمعالم للهوية الدينية مقاصد الشريعة،الثوابت والمتغيرات فيها، فقه المصالح والمفاسد، الوسطية، وبالتالي فهي مدعمات ومقويات للهوية، تقويها لا بالهروب من الاختلاط بالثقافات والديانات الأخرى كما كان مناسباً في فترة ما، ولم يعد ممكناً في زماننا، بل بتحصين الهوية من الناحية

الدينية، لتكون مستعصية على المسخ، وصلبة عن الذوبان ونذكر بعض النقاط التي تبين قيمتها:

1 - من مقاصد الشريعة التعارف مع الشعوب لا الهروب منها

فمن الحقائق التي قررها القرآن الكريم بكل وضوح، أن التعارف بين الشعوب مقصد من المقاصد الشرعية، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وما كان الشرع ليجعل أمراً ما مقصداً، ثم يكون فيه ضرر على هويتنا إننا حين نعمل على تحصين هويتنا،فلا يضرها احتكاكها بهويات الآخرين، بل نسعى لتحقيق هذا المقصد الشرعي ونحتك بباقي الشعوب، ونتحقق أنه لا يزيدنا ذلك الاحتكاك سوى اعتزاز وفخر بهويتنا ونفس الوسائل التي يتيحها العصر يمكننا توظيفها للعمل على تحصين هويتنا من الضعف أو الذوبان.

2 - السلف والاحتكاك بأفكار وهويات أخرى.

من يرى سيرة السلف يقف على نماذج لامعة وحقائق ساطعة، تعكس الجهود التي بذلت للاطلاع على ما عند الآخرين بل إن ترجمة تراث الحضارات المختلفة، وصهره واستثماره والاستفادة منه قوى جانب الهوية عند سلفنا ثم إن السلف لم يقفوا عند حد الاستفادة، بل وأفادوا،

وليس شيء ما يمنع تكرار هذا التلاقح من جديد، واستثمار كل نافع ومفيد فأرسطو مع أنه ابن أوروبا منذ ماضيها التليد، ظلت غافلة عنه وذاهلة عن تراثه حتى تعرفت على فكره من قلم تلميذه المسلم ابن رشد الحفيد، الذي نفض عن فكر أرسطو الغبار، وشرح كتبه وما حوته من أفكار، فرفعت أوروبا بأرسطو رأسها وزهت به بعدها، بعدما كانت نائمة عنه وعن فكره قرون قبلها فما الذي يمنع هذا اليوم؟.

3 ـ فقه المصالح والمفاسد.

ان الأمم والشعوب لا تكون دائماً وأبداً على حالة واحدة من الرقي والتطور، وتعتورها سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير، (وَتِلْكَ الْأَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاس) وإذا كانت الأمة في حاجة إلى فقه المصالح والمفاسد إبّان عِزّها وعُلوّها، فهي أحوج إليه حال ضعفها وتَقهقُرها، لأن الجسم العليل أكثرُ تأثراً بالأمراض، وأضعف عند الصدمات من الجسم القوي السليم.

وفي أحوال من ضعف الأمة الإسلامية أيام استحكام قبضة جيش التتار على جزء كبير منها، مر جماعة من العلماء وطلبة العلم على مجلس فيه بعض جند التتار الحاكمين وهم يقارعون الخمور فصرخ أولئك العلماء وطلبة العلم في وجوه التتار وقرّعوهم بسبب فعلهم فانبرى شيخ الإسلام

بالنكير عليهم ولم ينكر على التتار لكن أنكر على العلماء الذين أنكروا عليهم تعاطيهم الخمر،فقال لهم:دعوهم فإنما حرمت الخمر لصدها عن الصلاة وعن ذكر الله أما هؤلاء فتَصرفُهم عن دماء المسلمين ولقد أعمل شيخ الإسلام هذا الفقه؛ فقه تقدير المصالح والمفاسد فلم يكتف بعدم إنكاره على من يشربون الخمر، لكنه أنكر على الذين أنكروا على التتار شرب الخمر لماذا؟ لأن صون دماء المسلمين مقدم على عدم شرب الخمر هما مفسدتان ولكن إحداهما أعظم من الأخرىوفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد هذا مقرر في الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) فسب الأصنام مصلحة تترتب عليها غالباً مفسدة سب الله تعالى، ومن ثم فلتُفوّت تلك المصلحة؛ مصلحةُ سب الآلهة المزيفة كي لا يعبدها الناس، درءاً لهذه المفسدة، مفسدة سب رب الناس.

دور الترجمة إلى العربية في تعزيز الثقافة وبناء الهويّة

من المعروف أنّ الدّراسات الحديثة في مجال اللّسانيات والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ،توصّلت إلى توضيح التّأثير المتبادَل بين اللّغة والهُوية والمقصود باللّغةِ هنا اللّغة الأمَّ، وبالهُويةِ الهُويّة الفردية والاجتماعية على حدّ سواء ولقد عرف الوطن العربي في القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين نهضة كبيرةً؛ كان للترجمة

فيها دورٌ كبيرٌ وبعد أن مرّ العالم العربيُّ بسنوات عِجافٍ نسبيًا، في مجالات التفاعل الثقافي والبحث العلمي وتطوير المعارف، فإن حركة الترجمة العربية تشهد منذ مطلع القرن الحالي تأسيس منظمات ومراكز ومعاهد وصلت إلى أعلى درجات النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، وهو الأمر الذي يدلّ على أن العالم العربي يلج في عصر جديدٍ من النّهضة الفعلية الواعدة.

نمو الوعي المعاصر بالهوية الاسلامية:

نتيجة لنمو حركة الوعي الثقافي في البلاد الإسلامية؛ مر الفكر الإسلامي بمرحلة تجديد لفتت الانتباه نوعاً ما إلى أهمية التوعية بهوية الأمة[1] وتميزها عما عداها، بوسطيتها، ونشرها للعدل والرحمة، وشمولها في مبادئها وأحكامها، واستيعابها لجميع جوانب الحياة وكل مظاهر الشخصية، وتحديد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه وغايته (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُوَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ)،وتدعو حركات التجديد تلك إلى العمل على تعزيز الهوية بأقوى سلاح، وهو العودة إلى الإسلام وتربية الأمة

1- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية– محمد فاروق النبهان الإسلامية – ص213_ 214

عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه وتعالى، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية (وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) فللهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية والتي تحدد سماته الشخصية، ومن خلال هوية الأفراد تتشكل هوية المجتمع وضربت الدول الغربيةُ في العصر الحديث أعظم الأمثلة في المحافظة على هُويتها، واتخذت هذه الدول من العولمة المزعومة ستارًا لنشْر ثقافتها، وصبغ دول العالم بصبغتها، ومقابل ذلك حرصتْ على ألا تعطي فرصة للهُويات الأخرى أن تتحرَّك، أو تثبت وُجُودها.

الغرْب يحافظ على هويته

كان النموذج الأمريكي هو النموذج الأمثل في ضرب أعظم مثال في فرض هويته،واحتكار الهويات الأخرى، ومُحاولة غزوها في عقر دارها، ولم يقتصرْ هذا النهَم الأمريكي في فرْض هُويته على عالمنا الإسلامي، بل امتدَّ حتى شمل دولاً غربية ونصرانيَّة وتنبه حراس المشروع الثقافي الفرنسي، وأهل الغيرة على الهُوية الفرنسية لهذا النهم الأمريكي، مما جعلهم يرفضون التوقيع على الجزء الثقافي من اتِّفاقية الجات، ورفعوا شعار: الاستثناء الثقافي، بل وصل الأمر بحراس المشروع الفرنسي أن يستصدروا قانونًا يحظر على الفرنسيين أن يستخدموا أيَّة لغة أجنبية في خطابهم العام، وإلا تعرَّضوا لغرامة تصل إلى ألفي دولار.

وإذا كان هذا الحرْص على الهُوية بين الدول الغربية من بعضها على ما بينها من تقارُب واتِّفاق، فما بالنا بمدى خَوْفهم على هُويتهم جميعًا من الهُوية الإسلامية المخالفة لهم قلبًا وقالبًا؟ وليس خوفُ الغرْب من الهوية الإسلامية، واحتدام الصِّراع بين الحضارتين، بالأمر الجديد المحدَث، إنما هو أمرٌ قديم، حدَّد قدمه صمويل هانتنجتون حينما قال: إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ 1300عام، والأمر المثير للعجب: أن الهُوية الإسلامية كانتْ تنتصر على الهُويات المصارعة لها، سواء أكانت الهُوية الإسلاميَّة في حالة قوة أم في حالة ضعف وهذه الحقيقة التاريخية هي التي تجعل قادة الغرب المعاصرين يتخوَّفُون من الإسلام أشد التخوُّف.

استراتيجية الخروج من المحنة

ان معالجة مشكلة التطرف الطائفي والعرقي وآثارهما الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يتطلب مشاركة جميع المؤسسات العراقية ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية وعلماء الدين للتوعية باتجاه الأخطار الكبيرة للغلو والتطرف يرافقها تشريع قوانين تحد من هذه الظاهرة بوصفها جريمة كبرى لذا يتطلب وضع برنامج استراتيجي شامل لمعالجة التطرف واضعافه وتفكيكه .

1- تشجيع وبلورة أحزاب سياسية قائمة على أساس المواطنة واعادة النظر في برامج الأحزاب الحالية ذات الطبيعة الطائفية والعرقية بما ينسجم مع المصالح الوطنية قولاً وفعلاً .

2- ايجاد برنامج سياسي وثقافي وإجتماعي واقتصادي قائم على أساس مصلحة المجتمع والوطن تسهم في بلورته الكتل السياسية وعلماء الدين والثقافة ومنظمات المجتمع المدني.

3- إعادة وتطوير العلاقة بين مكونات الشعب بما يؤمن التعايش السلمي والشراكة الحقيقية بين مكونات المجتمع ورفض تام لأي تهميش واقصاء.

4 - تفعيل وتقنين ودعم عمل منظمات المجتمع المدني بما يرفد ويعزز حقوق الانسان والمواطن والوطن.

5- خلق بيئة ثقافية واجتماعية للتعارف والتفاهم والحوار بين مختلف الجماعات المذهبية وصياغة نظام العلاقة بين مختلف المكونات على قاعدة صيانة حقوق الانسان.

6- نشر ثقافة التسامح والمواطنة والقيام ببرامج اعلامية للكشف عن الأبعاد المأساوية لسياسة التخندق الطائفي والدعوة إلى نبذ العنف.

7- الابتعاد عن نظام المحاصصة واعتماد البرامج السياسية والتنموية بديلاً عن العاطفة العرقية والطائفية.

8- السعي نحو توحيد الوعي الاسلامي وعقد المؤتمرات للمصالحة الوطنية وتجميع أطراف النزاع.

9- خلق فرص عمل جديدة عن طريق دورة اقتصادية والقضاء على البطالة المقنعة في العمل الوظيفي والانتاجي التي تهدم كيان الفرد

10- ايجاد حلول واقعية لمظاهر التمييز الطائفي والتأكيد على الوعي الوطني المناهض للطائفية والعرقية.

11- إعادة النظر فى مناهج التربية والتعليم وترويج روح المواطنة وسيادة القانون والابتعاد عن الاقصاء الطائفي والعنصري والعرقي.

12- اصدار قانون يمنع التفرقة العنصرية والطائفية بين المواطنين ويمنع التحريض بأي شكل من الأشكال ويعتبر أي فكر أو سلوك متشدد طائفي او عنصري في خانة الجرم الوطني ويتم تجريمه من قبل القضاء.

<u>نظام المحاصصة الطائفية والعرقية</u>

لقد تم تشكيل مجلس الحكم الانتقالي وفق سياسة المحاصصة الطائفية والعرقية حيث تحول المجتمع العراقي إلى جماعات وتكتلات

تتراوح بين التعصب والتطرف السياسي والمذهبي هذه العملية أجهزت على العمل السياسي الحقيقي وخلقت ظروفاً جديدة في تعطيل بناء المؤسسات السياسية في حين استمرت الحكومات المتعاقبة على نفس الأسس وتحت مسميات متعددة (التوافق، الوحدة الوطنية) وهي في حقيقتها نوع من المحاصصة الطائفية وقد تجسد ذلك في تشكيل الجيش بنص الدستور وتشكيل مجلس اتحاد النفط والغاز بنص قانون النفط والغاز المعد للمصادقة من قبل البرلمان العراقي فضلاً عن مجلس النواب الذي يتصرف أعضاؤه على أساس الولاء الطائفي والعرقي الضيق فأدى هذا الوضع إلى التخندق الطائفي والعرقي وانحسار الولاء للوطن وولادة مشوهة للتطرف بكل أشكاله.

دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الإسلامية

الصحوة الإسلامية تهدف بمفهومها العام للحفاظ يقينا على هوية الأمة موحدة من غير تبديل ولا أنحراف ولا تغيير للمحتوى ولا لبس للباطل ولا تقليد أعمي فالصحوة مرداها حماية معالم الهوية تميزا عن الغير ومطابقة للذات وإليك بعض النقاط العامة التي تبين كيف من الممكن للصحوة الإسلامية أن تلعب دورا رئيسا في رسم وحدة هوية الأمة .

1- بناء الإنسان المتكامل ليكون بحجم التحدي وتربيته على أخلاقيات عقائدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم العقائدية والإيمانية؛ لأن بها وقف الجيل الأول من الأمة في وجه كل اختراق واستطاعوا ترسيخ المبادئ العامة للإبداع الحضاري الذي يكرم الإنسان كيفما كان نوعه ولونه وجنسه فبدون هذه الخطوة الأساسية ومع تفشي آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك في حياة المسلم المعاصر لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم.

2- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي أصابت ثقافتنا، مما أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع، فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن العمل، والعبادة رهبنة وانقطاع عن الحياة، وذكر الله _سبحانه وتعالى_ أصبح تمتمات وهمهمات وأقوال بلا أفعال، كما يجب أن نوضح ونبرز المقاييس الثقافية الإسلامية الصحيحة وتفعيلها في الإنتاج الثقافي الذي يحمل مفاهيمها الحقيقية.

3- يجب على الأمة الإسلامية أن تسارع في الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب وحمايتهم

من الوقوع في فلك الانحراف والضلال وحماية وجود الأمة الإسلامية وغيرها من خطر الغزو العلمي والتكنولوجي الجديد، وبخاصة أن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، ورسالة الإسلام جاءت للبشرية جمعاء، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

4- تجديد الخطاب الثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم روح العصر مع ضرورة الحفاظ على أصالة الثقافة الإسلامية ومضمونها من أجل خدمة الهوية الإسلامية.

5- ضرورة وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج الإباحية والمنافية لقيم وثقافة المجتمعات الإسلامية.

6- ينبغي إنشاء مراكز ثقافية إسلامية موحدة تهتم بدراسة قضايا العصر، سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أم حضارية فور ظهورها ومن ثم متابعة تطورها ووضع التصور السليم للموقف الإسلامي إزاءها، وهذا يتطلب عقد الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية وإيجاد مراكز ثقافية موحدة، لا يعني إطلاقاً إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما يعني السعي

نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة عن التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة، فالتوحد ضمن حقيقة التعدد والاتفاق ضمن حقيقة التنوع .

7- الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يكون من خلال استراتيجية تضمن إيجابية هذا الانفتاح؛ لأن الانفتاح المذموم هو الذي أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانهيار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة.

8- المشروع الحضاري الإسلامي لا يمكن أن يحقق تميزه الإسلامي، ومن ثم أداء دوره العالمي وفق منهج الله إلا إذا ركن إلى العلم الشرعي بمعناه الواسع وتم تأهيل العالم المسلم بحيث تكون دراسته لعلم الشريعة مرتبطة بالوقائع الحية التي تعيشها الأمة والعالم في هذا العصر.

9- إيجاد بيئة صالحة للحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة يسودها لغة العلم والحوار ويطغى عليها ثوب الأدب والرشد وغايتها الوصول لحال واحد يجمع شتات الأمة وإن أختلفت اجتهاداتهم الفقهية.
1.- إيجاد منبر إعلامي حر غير مسيس خاص بالمجمع العالمي للتقريب

بين المذاهب يشارك به الاساتذة والعلماء من شتى الدول الإسلامية والعربية وكبادرة راقية للأمة للتواصل والتفاهم .